على أن الشرك مأخوذ من الشركة، يفيد إقرارهم بالربوبية إلا أنهم يجعلون معه شريكًا في العبادة، كشريكين في شيءٍ ـ مثلاً ـ مع أنهم ما كانوا يساوون آلهتهم بالله في كل شيء. بل في المحبة والخضوع، لا في الخلق والإيجاد والنفع والضر.

توحيد الربوبية لا يدخل الإنسان في دين الإسلام:

لتعلم أيها القارئ الكريم، أن هذا التوحيد لا يدخل الإنسان في دين الإسلام، ولا يعصم دمه وماله، ولا ينجيه في الآخرة من النار، إلا إذا أتى معه بتوحيد الألوهية.

٢ ـ توحيد الألوهية

ويقال له: توحيد العبادة، وهو إفراد الله بالعبادة؛ لأنه المستحق لأن يعبد، لا سواه، مهما سمت درجته وعلت منزلته.

وهو التوحيد الذي جاءت به الرسل إلى أممهم؛ لأن الرسل ـ عليهم السلام ـ جاؤوا بتقرير توحيد الربوبية الذي

كانت أممهم تعتقده، ودعوتهم إلى توحيد الألوهية، كما أخبر الله عنهم في كتابه المجيد.

قال الله مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة هود: ٢٥-٢٦).

وقال عن هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾ (سورة هود: ٥٠).

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (سورة هود: ٦١).

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (سورة هود: ٨٤).

وقال الله مخبراً عن موسى عليه السلام في محاجته مع فرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء: ٢٣-٢٤). إلى آخر الآيات.

وقال الله مخبراً عن موسى عليه السلام، أنه قال لبني إسرائيل: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٠).

وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٥١).

وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: ٦٤).

وقال تعالى، مناديًا جميع البشر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢١).

وبالجملة: فالرسل كلهم بعثوا لتوحيد الألوهية ودعوة القوم إلى إفراد الله بالعبادة، واجتناب عبادة الطواغيت والأصنام.

كما قال الله: ﴿لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (سورة النحل: ٣٦)[1].

---

(١) والطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ويطلق على الشيطان والكهان وكل ما عبد من دون الله. وقد حده العلامة ابن القيم حدًا جامعًا، فقال: «الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»، فإذا تأملت هذا التعريف، عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحاكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بتشريع وضعي لا يستند إلى القرآن والسنة ولا إجماع الأمة.

وقد ذكر الله في عدة آيات من القرآن: أن الحكم لله، وأن مرد النزاع إلى الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ (يوسف: ٤٠)، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠). وقال: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩).

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، وآية: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، وآية: ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

فقد سمعت دعوة كل رسول لقومه، فكان أول ما يقرع أسماع قومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (سورة هود: ٥٠).

تفسير العبادة:

العبادة[1] في اللغة معناها: التذلل والخضوع، ويقال: طريق معبد أي مذلل.

---

(١) لابد لها من ركنين أساسين. الأول ـ نهاية الخضوع والذل، والثاني: غاية المحبة.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر العبادة بمعنى الذل ما نصه: «لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له».

قال: «ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله. وما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم لغير الله فتعظيمه باطل. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (سورة التوبة: ٢٤) اهـ من «العبودية».

وفي الشرع: معنى العبادة ـ كما قال شيخ الإسلام ـ هي: طاعة الله، بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل.

وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. اهـ.

فعلى المسلم أن يفرد ربه بجميع أنواع العبادات مخلصًا لله فيها، وأن يأتي بها على الوجه الذي سنَّه رسول الله قولاً أو عملاً.

شمول العبادة للأنواع الآتية:

واعلم أن العبادة تشمل الصلاة، والطواف، والحج، والصوم، والنذر، والاعتكاف، والذبح، والسجود، والركوع، والخوف، والرهبة، والخشية، والتوكل، والاستغاثة، والرجاء، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي شرعها الله في قرآنه المجيد، أو شرعها رسول الله بالسنة الصحيحة القولية أو العملية.

فمن صرف شيئًا منها لغير الله يكون مشركًا، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون:١١٧).

وقوله: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الجن:١٨). فأحد جاءت نكرة في سياق النهي، تعم كل مخلوق، رسولاً كان أو ملكًا أو صالحًا.

أول حدوث الشرك:

إذا ثبت هذا، فاعلم أن أولِ ما حدث الشرك في قوم نوح، ولما أرسل الله إليهم نوحًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة تلك الأصنام، عاندوا وأصروا على شركهم، وقابلوا نوحًا بالكفر والتكذيب. وقالوا: كما في القرآن الكريم: ﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (سورة نوح:٢٣).

وفي الصحيح[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية، قال: **«هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً[٢] أي صوروهم على صور أولئك الصالحين وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت»**.

قال الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «قال غير واحد من السلف: لمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

سبب الشرك الغلو في الصالحين:

ومن هنا نعلم أن الشرك إنما حدث في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين.

---

(١) راجع صحيح البخاري كتاب التفسير في تفسير سورة نوح عليه السلام: ﴿إنا أرسلنا﴾ (٦/ ١٩٩) طبعة الشعب.

(٢) انصاب: جمع نصب، وأصله ما نصب، كغرض ونحوه، والمراد هنا: الأصنام المصورة على صورهم، المنصوبة في مجالسهم.

ومعنى الغلو: الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد. ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ (سورة النساء: ١٧١).

أي لا تفرطوا في تعظيمه حتى ترفعوه عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله.

ولهذا ورد الحديث الصحيح[1] عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**.

أي لا تتجاوزوا الحد في مدحي، فتنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها، كما غلت النصارى في عيسى فادَّعوا فيه الألوهية.

---

(١) أخرجه البخاري.

ولكن أبى الجاهلون والمخرفون إلا مخالفة أمر رسول الله، وارتكاب نهيه، فناقضوه أعظم مناقضه، وضاهئوا النصارى في غلوهم وشركهم، وبنوا القباب[1] والمساجد على أضرحة الأولياء والصالحين، وصلوا فيها ـ وإن كان لله ـ لكن بقصد التعظيم للمقبورين، وطافوا بقبورهم، واستغاثوا بهم في كشف الملمات وقضاء الحاجات، ورأوا أن الصلاة في أضرحة الأولياء أفضل من الصلاة في المساجد.

---

(١) قلت في منظومتي «اللآلئ السنية»:

عبد الأكثر منهم صالحًا ** ونبيًا ووليًا شهرا
كل قطر عندهم معبودهم ** أشركوه بالذي قد فطرا
وقبابًا فوقهم قد أسسوا ** خالفوا المختار فيما حذرا
كم حديث ثابت قد وردا ** قد نهى الأمة مما صدرا
وأبو الهياج هناك التقى ** عن علي المرتضى قد أخبرا
طمس تمثال وقبر مشرف ** هدمه يروى، وذا قد حررا
وذوو العلم بذا قد حكموا ** راجع الكتب تجد ما سطرا

وقد ورد في الحديث عن عائشة، عن النبي ﷺ قالت: «لما نُزِل[١] برسول الله ﷺ طفق[٢] يطرح خميصة[٣] له على وجهه فإذا اغتم[٤] بها كشفها.

فقال ـ وهو كذلك ـ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذِّرُ ما صنعوا[٥]، ولولا ذلك

---

(١) نُزِل: بضم النون وكسر الزاي، مبني لما لم يسم فاعله، أي نزل به ملك الموت.

(٢) طفق: بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف:٢٢)، ومعناه: جعل.

(٣) خميصة: بفتح الخاء: كساء له أعلام.

(٤) إذا اغتم بها كشفها: أي إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه.

(٥) يحذر ما صنعوا: هذا من كلام عائشة رضي الله عنها.

أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»[١]. (أخرجه الشيخان)[٢].

وجرى منهم الغلو في الشعر والنثر ما يطول عده، حتى جوَّزوا الاستغاثة بالرسول وسائر الصالحين، في كل ما يستغاث فيه بالله، ونسبوا إليه علم الغيب!! حتى قال بعض الغلاة: لم يفارق الرسول الدنيا حتى علم ما كان وما يكون!!، وخالفوا صريح القرآن: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ (سورة الأنعام:٥٩).

---

(١) لعنهم النبي ﷺ على هذا الفعل بعينه، وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد. أي كنائس وبيع يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموها مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم، وإن لم يسمها من بناها مساجد. وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزاً لهم عن غيرهم. فإذا كان ﷺ لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء فكيف بمن بناها على قبور غيرهم اهـ. (من تيسير العزيز الحميد).

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو عوانة والنسائي، ولمزيد من التفصيل في التخريج وفقه هذا الحديث راجع كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص١٢) لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة لقمان: ٣٤).

وقال تعالى مخبرًا عن رسوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٨).

وقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (سورة النمل: ٦٥)[1].

وإذ علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو في الصالحين، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك، كما قررناه.

---

(١) وهذه الآية كما ترى انفراده بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله». وكونه ﷺ أخبر ببعض المغيبات فهو من وحي الله له.

ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (سورة الأعراف: ٧٠). أي لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا.

أنواع العبادة وأدلتها:

اعلموا أن من أنواع العبادة ـ كما سبق ـ الركوع، والسجود، والطواف، والنذر، والذبح، والاستغاثة، والاستعانة، والحلف، والتوكل، إلى غير ذلك مما مَرَّ.

■ **فدليل الركوع والسجود،** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحج: ٧٧).

■ **ودليل الصلاة والذبح،** قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢).

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر: ٢-٣).

وللحديث الصحيح: «لعن الله من ذبح لغير الله»[١].

■ ودليل النذر والطواف[٢]، قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ٢٩).

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

(٢) أي لا ينذروا لغير الله ولا يطوفوا بغير البيت العتيق، فلا يجوز النذر للأولياء ولا الصالحين، ولا الطواف بقبورهم، كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني والحسين والبدوي والدسوقي وغيرهم، فإن هذا شرك لا مراء فيه. وكثير من المبتدعين الجاهلين المخرفين ينذر للصالحين، وبعضهم يرسل أموالاً من بلدان الخليج العربي لقبور الأولياء - بزعمهم - في إيران، للسدنة ولتعمير القباب!!.

كما يفعل ذلك كثير من الهنود والباكستانين، بنذرهم لعبد القادر الجيلاني أموالاً طائلة، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة.

وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين، فإنهم ينذرون أموالاً لقبور أهل البيت في النجف وكربلاء، وخراسان، وقم، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور، للطواف بها، والاستغاثة بساكنيها، وطلب قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسموات. =

. . . . . .

= وكما لا يجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء، بل يستغفر الله ويتوب إليه، ويأتي بالشهادتين؛ لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك.

ومن وقف عقارًا أو حيوانًا على قبور الأولياء فوقفه باطل، أو وصَّى لها فوصيته باطلة، وذلك العقار أو الحيوان لازال على ملك صاحبه، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

وقول بعضهم: إن النذر لله والثواب للولي، كلام باطل وضلال عاطل، فأي شيء أدخل الولي هنا، إن كان قصده الصدقة فليتصدق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه. وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي!! والأمور بخواتمها، فقد يكون ظاهره صديقًا وباطنه زنديقًا.

ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر، فإذا أنكرت عليهم قالوا: الذبح لله والثواب للولي، وليس القصد من هذا إلا التلبيس وقلب الحقائق، وهم لم يقصدوا إلا الولي.

على أن العلماء قد صرحوا: أن لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، للحديث عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية بعد؟» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» «رواه أبو داود».

■ ودليل الحلف، الحديث الوارد[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك». وفي لفظ : «فقد كفر».

■ ودليل الاستعانة، قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة: ٥).

والحديث الصحيح[2] عن رسول الله ﷺ : «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

■ ودليل الخوف، قوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٥).

---

(١) حديث صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر وصححه الألباني في (إرواء الغليل) حديث رقم (٢٥٦١) (٨/١٨٩).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد والترمذي، وقد صححه الألباني في تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم برقم (٣١، ٣١٨). وللحافظ ابن رجب الحنبلي شرح نفيس عليه اسمه (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما).

■ ودليل التوكل، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة: ٢٣).

■ ودليل الرهبة، قوله تعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (سورة النحل: ٥١). ودليل الاستغاثة، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة يونس: ١٠٦).

وهذا خطاب للرسول ﷺ كما ترى أي لا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا ـ يعني بذلك الآلهة والأصنام ـ فإن فعلت: فدعوتها من دون الله، فإنك إذًا من الظالمين، أي المشركين بالله والرسول ﷺ معصوم من الشرك ومن كبائر الذنوب[1]، وإنما هذا تعليم للأمة.

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (سورة يونس: ١٠٧).

---

(١) قيل: ومن صغائرها أيضًا.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (سورة الأحقاف: ٥-٦).

والمستغيث بالرسول إنما ينادي ويدعو غير الله، كأن يستغيث قائلاً: يا رسول الله أنقذني من هذه الشدة، أو يا عبد القادر، أو يا دسوقي، أو يا رفاعي، أو يا بدوي ... إلخ.

ولاريب أن المستغيث بغير الله داخل في هذه الآية وأمثالها.

وكيف يستغيث العاقل المؤمن بغير الله، وهو يقرأ هذه الآيات أو يسمعها؟!

ومنها قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1] (سورة النمل: ٦٢).

---

(١) قال العبادي في منظومته «هداية المريد»:

ومن يقل غير الإله يملك ... ضرًا ونفعًا فهو ايضًا مشرك
ومن ينادي ميتًا أو غائبًا ... ويرتجيه راغبًا وراهبًا
لدفع ضر أو حصور نفع ... فذاك شرك عند أهل الشرع
كمن ينادي مستغيثًا بأحد ... أو مستعينًا أو رجا منه الولد
إذ ذاك في العادة ليس يقدر ... عليه إلا الواحد المقتدر
وكل ما استحال في العادات ... كطلب الأحياء من الأموات
فلم يجز لمسلم أن يفعله ... وأنكر الشرع على من فعله
فما لكم يا معشر الجهال ... تدعون غير الله ذي الجلال
في جلب نفع أو لدفع ضر ... أو برء سقم وارتفاع شر
من ليس يغني نفسه من ضرها ... ولم يطق إنفاذها من فقرها
وتستمدون من الأموات ... تيسير عسر وقضا الحاجات
ألم تروا أن الدعا عبادة ... لا يمتري فيه ذوو الشهادة
فمن دعا غير الإله أحداً ... يمنحه الخير ويكفيه الردى
فإنه لمن دعاه عابد ... سواء الجاهل والمعاند
وفي ثبوت النهي في الكتاب ... دلائل لمبتغي الصواب
يكفيك أن الله قال ادعوني ... كمثل ما قد قال فاعبدوني

بيَّن الله في هذه الآية أن المشركين من العرب ونحوهم كانوا يعلمون أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده، فذكر ذلك محتجًا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه، ولهذا قال: ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ بالاستفهام الإنكاري، أي ليس إله مع الله يجيب المضطر ويكشف السوء.

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نَسْتَغِثْ برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»[1].

---

(١) إسناده ضعيف: لأن في إسناده ابن لهيعة وقد ساء حفظه بعد احتراق كتبه وهذا الحديث من رواية سعيد بن كثير بن عفير عنه، وليس ممن روى عنه قديمًا. وابن لهيعة أيضًا موصوف بالتدليس وقد عنعن.
وأيضًا فقد اضطرب في لفظه فقد رواه أحمد (٥/ ٣١٧) وفيه: «لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى» وهذا اللفظ يختلف في معناه عن الأول.
وإسناده ضعيف أيضًا؛ لأن فيه راويًا لم يُسم وهو من رواية موسى ابن داود عن ابن لهيعة ولم يرو عنه قديمًا.
والاضطراب علة في الحديث فيزداد ضعفًا إلى ضعفه (نقلت هذا التخريج من خط شيخي عطاء بن عبد اللطيف ـ حفظه الله ـ).

الركوع والسجود والنذر لغير الله

فمن ركع أو سجد لحي أو لميت، أو نذر لغير الله، كأن ينذر لقبور الأولياء أو الصالحين، أو يذبح لهم، أو للأشجار أو للعيون.

أو يطوف بقبر نبي أو ولي، كأن يطوف بقبر الرسول أو بقبر علي بن أبي طالب، أو بقبر الحسين أو الحسن، أو علي بن موسى الرضا، أو عبد القادر الجيلاني، أو البدوي، أو الرفاعي أو غيرهم.

أو يستغيث بهم في الشدائد، كأن يقول: يا رسول الله أنقذني، يا رسول الله فرّج عني هذا الكرب، المدد يا عبد القادر يا جيلاني، أو يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يطلب عافية من مرض له أو لغيره، أو قدوم غائب، أو يرزقه ولدًا، أو يأتي له برزق، أو يفرج عنه

شدة وكربة، أو نحو ذلك من الأمـور التي ليست في قدرة المخلوق أن يفعلهـا. فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفـعال مشـركًا بالله العظيم[1] شركًـا أكبر، لا يغـفر الله له إلا أن يتوب. لقـوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ٤٨).

---

(١) قال شيخ الإسـلام: الشرك نوعان: أكبر وأصغـر. فمن خلص منها وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبـر ولكن كثر الأصغـر حتى رجحت به سيـئاته دخل النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبـر، أو كان كثيرًا أصغر، والأصغر القليل في جانـب الإخلاص الكثيـر لا يؤاخذ به. اهـ. (من تيسـير العزيز الحميد).

فالـشرك الأكبـر، كالسـجود والنذر لـغير الله، والأصـغر كـالرياء والحلف بغير الله ـ إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله:

فـتنة الشـرك ومـا من فـتنة ** مـثلهـا بين البـرايا توجـد
ليس غـيـر الله في سلطانه ** من إله يتـقى أو يعـبـد
مـالك الملك تعـالى مـا له ** في عـلاه من شـريك يعـبـد

ـ للشاعر/ أحمد محرم

أما ما كان في إمكان المخلوق الحي، فلا بأس بأن تستعين به.

مثل: أن تطلب منه أن يعينك في قضاء حاجة، أو إنقاذ من غرق أو حريق أو ما سوى ذلك.

الآيات الآمرة بعبادته والمبينة عجز المعبودات الباطلة:

هذا وقد أكثر الله في كتابه المجيد من الآيات الآمرة بعبادته والحاثَّة عليها.

كما قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة:٢١)، وقال الله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة النساء:٣٦)، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة الإسراء:٢٣).

وقال مبينًا عجز تلك الآلهة التي عبدها المشركون من أن تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًا، بل ولا تدفع عن نفسها فضلاً عن غيرها، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ

اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (سورة الحج: ٧٣).

وقال مبينًا أن النفع والضر بيده لا بيد غيره، بقوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ (سورة يونس: ١٠٧).

وأخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبكت المسيحيين ويوبخهم عن عبادتهم للمسيح: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة المائدة: ١١٦-١١٧).

فانظروا كيف يتبرأ من عُبَّاد المسيحيين، ويقول: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (سورة المائدة: ١١٧).

والله يعلم أن المسيح لم يأمر بعبادته، ولا يرضى بذلك ولكن يريد الله من هذه الآيات أن يبين للناس أن عبادة المسيح الذي هو من الأنبياء المرسلين لا تجوز، بل ويكون شِرْكًا. فكيف بعبادة غيره من الأولياء، ومن الأشجار، ومن الغيران والكهوف!!

ألم يسمع هؤلاء الضالون قول الله مخاطبًا لسيد العالمين: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ (سورة يونس:١٠٧). فإذا كان الضرُّ النازل بالرسول لا يستطيع أن يدفعه، فكيف يستطيع الرسول ـ وأولى من هو دونه ـ أن يدفع ضرًا نزل بغيره؟!

ألم يسمع هؤلاء قول الله العظيم: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٠)؟

ألم ينع على اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، كما قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] (سورة التوبة: ٣١)؟

---

(١) روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه، عن عدي بن حاتم، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه! ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟!»، فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم». فأنت ترى أن الحديث يصرِّح أن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام ـ ما معناه مختصرًا ـ: إن هؤلاء المقلدين الذين اتخذوا الأحبار أربابًا في تحليل ما حرَّم الله، وعكسه، يكونون على وجهين:

أحدهما ـ يعلمون أن الأحبار والرهبان قد بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وعكسه، اتباعًا لرؤسائهم، فهذا كفر. وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون.

الثاني ـ يعتقدون تحريم الحرام وعكسه، لكن أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. اهـ. =

الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية، وجهل الكثيرين به:

فالواجب على كل مسلم أن يميز الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ لأنه قد أخطأ فيهما كثير من العلماء، فضلاً عن الجهلاء.

= ومثل هؤلاء، المقلدون للمجتهدين، الذين يخالفون آي القرآن ونص الحديث الصحيح الآتي بخلاف مذهبهم، فيجمدون على المذهب ويتعصبون له بحجة أن صاحب المذهب أعلم منا والمتحذلق منهم يؤول الآية على حسب هواه ومذهبه، ويرد الحديث بلعلَّه لم يصح عن إمامنا، أو لعل له ناسخًا أو مخصصًا لا نعلمه، ونحو ذلك من الأعذار الواهية والشبهات الداحضة، وأين هؤلاء من هذه الآية الشريفة، ومن قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٢). ومن قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩).

على أن الأئمة ـ رحمهم الله ـ لهم الفضل في تدوين العلوم، ومكانتهم لا تخفى، وقد نهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم، وليس كلامنا في العاجز، أو من لم يظهر له الدليل، فإن هذا لا بأس له أن يقلد، وإنما كلامنا فيمن حوى من العلوم ما يمكنه من فهم الآيات والأحاديث، أو ظهر له الدليل بخلاف المذهب وإن لم يحو من العلم شيئًا كثيرًا، فإن مثل هذا لا عذر له في ترك النص والأخذ بالتقليد.

وذلك أن أولئك المخطئين فسروا كلمة (الإله) بالقادر على الاختراع، أو الخالق، أو المالك.

والحال أن الأمر ليس كذلك. بل الإله يطلق على كل معبود بحق أو باطل[1]، ولهذا لمَّا قال الرسول ﷺ لمشركي قريش: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم»[2].

قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ

---

(١) هذا أصل وضعه في اللغة، ثم غلب على المعبود بحق.

(٢) صحيح: قال الشيخ الألباني في كتابه في الرد على البوطي ص٢٩ ما نصه: «هذا الحديث قد أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٩٢)، (٤/ ٦٣-٣٤١) (٥/ ٣٥٧٦)، والبيهقي بأسانيد عن غير واحد من الصحابة، وأحدها عند ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٦٤-٦٥)، بنحوه، وأحد إسنادي أحمد صحيح، وأخرجه البيهقي أيضًا كما في «البداية» (٣/ ١٣٩)، وطرفه الأول له شاهد في «المستدرك» (٢/ ٦٢٤)، من حديث جابر مطولاً وصححه ووافقه الذهبي».

﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ (سورة ص٥-٧).

وأما لفظ الجلالة، فلا يطلق إلا على الله العظيم، فمشركوا العرب كانوا أعرف بمعنى الإله من مشركي زماننا.

والبلية كل البلية، والجهل كل الجهل، أن الكثيرين ممن ينطقون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يعرفون معنى هاتين الكلمتين!!

obeikandi.com

معنى لا إله إلا الله[1]

فلو عرفوا أن معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله.

---

(١) شروط لا إله إلا الله السبعة:

١ ـ العلم المنافي للجهل: فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها، ومعناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده.

٢ ـ اليقين المنافي للشك: لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها.

٣ ـ الإخلاص المنافي للشرك: فإن من لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك ينافي الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ١١).

٤ ـ الصدق المنافي للنفاق: لأن المنافقين يقولونها، ولكنهم لم يطابق قولهم ما في جنانهم فصار كذبًا، لمخالفة الظاهر للباطن، كما أخبر عنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١).

٥ ـ القبول المنافي للرد: لأن في الناس من يقولها مع معرفة معناها، لكن لا يقبل ممن دعاه إليها، إما كبراً وإما حسداً، أو غير ذلك من الأسباب. =

obeikandl.com

فـ(لا إله): نفي لجميع المعبودات الباطلة.

و(إلا الله): إثبات للمعبود الحق جل جلاله.

ولو عرفوا هذا المعنى، وعرفوا أن ما يأتون به لأوليائهم وسادتهم وقبور صالحيهم، من الذبح أو النذر لهم، أو التبرك بتراب قبورهم، أو الصلاة إليهم، أو الطواف بأضرحتهم، أو طلب قضاء حاجة منهم، تأليه لأولئك الصالحين، والإلهية لا تصلح إلا لله؛ لعلموا أن هذا شرك أكبر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (سورة المائدة: ٧٢).

= ٦ ـ الانقياد المنافي للترك: ويحصل الانقياد بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرَّم الله، والتزام ذلك؛ لأن الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله، وينقاد بالتوحيد والطاعة، كما قال الله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان: ٢٢).

٧ ـ المحبة المنافية لردها: فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بالمحبة، لما دلت عليه من الإخلاص المنافي للشرك، «فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا فلا» اهـ. (مخلصًا من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ).

وإذا ذكرت للقارئ شروط لا إله إلا الله ـ ولا إله إلا الله هي كلمة التقوى، ومفتاح الإسلام، ومفتاح الجنة دار السلام ـ.

نواقض الاسلام

فمن الجدير أن أذكر نواقض الإسلام، فهاك بيانها:

الأول ـ الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (سورة النساء:٤٨).

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (سورة المائدة:٧٢). ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا.

الثالث ـ من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع ـ من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس ـ من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول، ولو عمل به فقد كفر.

السادس ـ من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه، أو عقابه والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (سورة التوبة: ٦٥-٦٦).

السابع ـ السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (سورة البقرة: ١٠٢).

الثامن ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة المائدة: ٥١).

التاسع ـ من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر ـ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (سورة السجدة: ٢٢).

ولا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[1].

(١) كتاب (مجموعة التوحيد).

معنى محمد رسول الله

ولو عرفوا أن معنى (أشهد أن محمداً رسول الله):

طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، وتأملوا قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧).

وقوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٥). وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ[1] أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٦٣).

وقوله: ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2].

---

(١) أمره: أي أمر الرسول: فتنة: أي شرك أو كفر.

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها والمتفق عليه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود على صاحبه.

وقوله: في الحديث الشريف: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (رواه أبوداود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح)[1].

بيان بعض البدع[2]

لعلموا أن كثيراً من صلواتهم وأدعيتهم وأذكارهم وأحزابهم مما ابتدعه بعض الفقهاء الجامدين، أو المتصوفة المبطلين، أنها من البدع والضلالات التي ما أنزل الله بها

---

(١) صحيح: أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد وصححه الألباني في صحيح «الترمذي»، «وابن ماجه» ولمزيد من التخريج راجع السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٣٧).

(٢) البدعة: لغة: الأمر المحدث الذي لم يسبق له نظير، لأن مادة بدع للاختراع. وعرف علماء الفقه والحديث البدعة بتعاريف، أحسنها وأوضحها: الأمر المحدث بعد الرسول، بقصد التقرّب إلى الله، فبقصد التقرب خرجت البدعة الدنيوية كإحداث البارود والبن والمناخل والسيارات والطائرات وما أشبه ذلك. وتقسيم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وقبيحة، تقسيم باطل لا مستند له من الشرع. والتقسيم الصحيح أنها قسمان: دينية ودنيوية، وقد عرفتها مما سبق =

من سلطان، مثل الذكر بالاسم المفرد: (الله الله)، أو(يا هو يا هو).

= وليس لتقسيمهم إلى حسنة وقبيحة أصل؛ وهو ينافي القرآن والحديث. وإليك البيان على وجه الاختصار:

١ ـ أما القرآن، فقد قال الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة:٣). فما انتقل الرسول من الدنيا إلا والدين كامل لا يحتاج إلى الزيادة.

ونضيف إلى ذلك: أن التشريع من حق رب العالمين، وليس من حق البشر، ولئن جازت الزيادة في الدين جاز النقص، ولا قائل بذلك:

بدين المسلمين، إن جاز زيد ** فجاز النقص ايضًا أن يكونا
كفى ذا القول قبحًا يا خليلي ** ولا يرضاه إلا الجاهلونا

وأما الحديث: ففي الصحيح: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» ولفظ كل للعموم. ولا يخرج فرد من الأفراد المبتدعة إلا بمخصص، فأين المخصص هنا، حتى يقال: هذه بدعة حسنة وخرجت من حيز العموم. فإن كان المخصص حديث «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن».

فالجواب: أولاً ـ إن هذا ليس بحديث عن النبي ﷺ بل من كلام ابن مسعود. ثانيًا: إن (ال) في كلمة المسلمون، إن كان للاستغراق، أي كل المسلمين فإجماع، والإجماع حجة ولا كلام فيه. وإن كان للجنس فيستحسن بعض المسلمين هذا الأمر ويستقبحه البعض الآخر، كما هو الواقع في أكثر البدع وعليه فقد سقط الاحتجاج بهذا الأثر.

ومثل حلق المريدين (اجتماعهم في حلقات) الذين يزعمون أنهم يذكرون الله بمثل هذه الأذكار المخترعة.

وكصلاة الرغائب[1] ومثل حزب البحر وأمثاله، وابتهالات وصلوات ومناجاة وإنشاد قصائد في مدح النبي ﷺ فوق المنابر قبل الفجر وفي ليلة الجمعة ويومها، وبعض صيغ صلوات على الرسول لم ترد السنة بها.

مثل قولهم: اللَّهم صلِّ على محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله.

وكقولهم: اللَّهم صلِّ على محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

لأن الصلاة على الرسول من أجلّ القربات، كيف لا وقد أمرنا الله بها في كتابه المجيد، بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

(١) من أشنع البدع وأقبحها بدعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، بحجة أن العدد ناقص عن الأربعين، أو أن المأمومين لا يحسنون القراءة، فإن هذه البدعة الضالة تجر إلى الكفر، إن اعتقد أن صلاة الظهر بعد الجمعة فرض، وإلى البدعة والضلال إن اعتقد أنها سنة.

﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦).

والصيغ الواردة في الصلاة على الرسول مدوَّنة في كتب السنة لا حاجة إلى الاختراع والابتداع في صيغها؛ لأن الصلاة عليه ﷺ عبادة، والعبادة مبنية على التوقيف.

من صيغ الصلاة على الرسول ﷺ:

ومن الصيغ الواردة للصلاة عليه ﷺ ما رواه مسلم عن ابن نمير، عن روح بن عبادة[1]، وعبد الله بن نافع الصائغ، أنهم قالوا: يا رسول الله: كيف نُصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللَّهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد**»، وكما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله،

---

(١) روح بن عبادة وعبد الله بن نافع شيخا شيخ مسلم وليس بصحابيين كما يوهمه صنيع المؤلف، والحديث عن أبي حميد الساعدي ﷺ. أخرجه مسلم (٤/ ١٢٧) بشرح النووي.

هذا السلام عليك عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: **اللَّهم صلِّ على محمدٍ عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمدٍ، كما باركت على آل إبراهيم**».

شبهة للقبوريين وردها:

وإنما قلنا: يجب على المسلم أن يميز الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، لأن الموحد إذا أنكر عليهم ما يأتون من أفانين العبادات، وأنواع التضرعات لتلك القبور، وقال لهم: إن عملكم هذا شرك، غضبوا وقالوا: كيف تصفنا بالشرك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت وبيده النفع والضر، وإليه المرجع والمصير؟ وغاية الأمر لنا نجعل هؤلاء الأنبياء أو الصلحاء شفعاء يشفعون لنا عند الله، لأننا ملطخون بأنجاس الذنوب، ليس لنا قدر حتى نطلب من الله أن يغفر ذنوبنا، أو يقضي حاجتنا، أو يدفع ضرنا، فنستشفع بهؤلاء ونجعلهم وسطاء بيننا وبين الله، ولما نعلم ما لهم من الجاه والمنزلة بمثابة الوزير عند الملك.

حيث إن أفراد الرعيـة لا يستطيعون أن يصلوا إلى الملك إذا حل بهم ظلم أو كارثـة، فيتوسـلون بالوزير أو المقرب، ليشفع لهم عند الملك أو السـلطان، أو الوزير ليقضي الملك حوائجهم أو يدفع عنهم الظلم.

فنقول لهؤلاء الجهلاء في الجواب:

أولاً - إن عقيدتكم هي عقيدة المشركين بذاتها:

قال الله إخـباراً عن المشركـين السالفين: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (سورة يونس: ١٨).

وقـال الله في آية أُخـرى إخـبـاراً عنهم: ﴿ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ (سورة الزمر: ٣).

فاعتقاد أولئك المشـركين بأن الله خالقهم ورازقهم... إلخ لم ينفعهم، ولم يحـقن دماءهم؛ لأنهم عبدوا الأصنام ليقربوهم إلى الله، وليشفعوا لهم.

لم يعبدوها لأنها خالقة ورازقة، ومدبرة للأمور[1].

ولا يخفى هذا على أحد قرأ القرآن وتدبَّره.

تشبيه الخالق بالمخلوق:

وثانيًا ـ إن هؤلاء الجهلاء، قد شبهوا الرب العظيم بالملك البشري، قد شبهوا رب العالمين بالسلطان المخلوق من ماءٍ مهين، قد شبهوا أعدل العادلين وأرحم الراحمين بالملك المخلوق، وتوسلوا إليه بالشفعاء والأنداد، فجمعوا بين الشرك والتشبيه، ولم يعلموا أنه لا يقاس الإله بالمخلوق ولا الرب المالك بالمملوك.

---

(١) لا يتصور عاقل عرف حال المشركين، وما أوتوا من فهم وعقل أن ينحتوا أصنامًا بأيديهم ويعتقدوا أنها خالقة ورازقة ومدبرة، ولا يوجد عاقل يعتقد ذلك، لا في الوثنيين السالفين، ولا الحاضرين، ولكن عبدوها على أنها صور قوم صالحين، وتقربوا إليها بالعبادات لكي تشفع لهم عند الله، كما نطق القرآن بذلك.

وبيان ذلك على وجه الاختصار: أن الملك البشري قد لا يعلم بالظلم الواقع على ذلك المتوسل بالوزير، أو يعلم أن الظلم الواقع من أحد أبنائه أو عشيرته ممن يجاملهم ولا يريد أن يجرح عواطفهم أو أن الظلم صدر منه على ذلك.

فأنى يقاس الخالق بالمخلوق؟!

فهل الله لا يعلم بالظلم الواقع على هذا العبد؟ أو لا يعلم بحاجته، أو بالضر الذي مسّه؟! وهو القائل: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر: ١٩).

وهل الله يصدر منه الظلم لأحد؟! أو له أقرباء ينزلون ظلمهم بأحد من العباد؟! وهل لله وزير أو مُعين أو ظهير حتى يتوسل إليه العباد، ليشفع لهم عند الله ذلك الوزير أو المعين أو الظهير؟!

فما أفسد هذا القياس وأخبثه، وما أجهل هؤلاء وأكفرهم بالله.

لا واسطة بين الخالق والمخلوق

إلا في تبليغ الشرائع

وأي حاجة إلى واسطة والله يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (سورة ق:١٦).

ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (سورة البقرة:١٨٦).

والواسطة للتبليغ هم الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

أما الواسطة في دفع ضر أو جلب نفع، فتلك عقيدة المشركين. كيف تكون واسطة بين العبد وربه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] (سورة غافر:٦٠).

---

(١) داخرين: صاغرين.

لم يقل الله: ادعوا أوليائي، أو ادعوا أنبيائي، أو استغيثوا بأحبائي والصالحين من عبادي.

بل قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦).

وفي الحديث الشريف: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[(١)].

كما ورد في الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[(٢)]، ولم يقل الرسول ﷺ: ادعوا الأنبياء حتى يطلبوا من الله لكم، أو توسلوا بالأنبياء والصالحين.

---

(١) حديث حسن: أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيحي الترمذي وابن ماجه، وهو مخرج في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٦٥٤).

(٢) حديث حسن: أخرجه الترمذي والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٦٦)، وفصل تخريجه في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٤).

عدم ثبوت التوسل عن النبي وأصحابه

ولذا لم يثبت التوسل عن الأنبياء بعضهم ببعض، كما لم يثبت التوسل عن الصحابة بالرسول ﷺ ولم يثبت عن التابعين ولا عن الأئمة المعتبرين.

التوسل قسمان: مشروع وممنوع:

■ **أما المشروع فهو قسمان أيضًا.**

القسم الأول ـ هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله، وبالأعمال الصالحة.

ولم يقع في هذا خلاف بين العلماء، سواء كان في حياة الرسول أو بعد موته.

القسم الثاني ـ من المشروع: التوسل بدعائه ﷺ يوم كان حيًا، بأن يأتي السائل فيسأل الرسول ﷺ أن يطلب له

من الله العافية، كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستسقي لهم[١].

وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو له برد بصره - إن صح حديث الأعمى -[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) لم يصح حديث الأعمي(*)، وهو حديث عثمان بن حنيف، قال في «صيانة الإنسان»: هو غير ثابت، لأن في مسنده أبا جعفر الرازي، وهو سيء الحفظ، يهم كثيراً، فلا يحتج بما ينفرد به اهـ. وعلى فرض صحته، فإنه توسل بدعائه ﷺ لأنه في الحديث عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتى النبي، فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني. قال: «إن شئت أخرت ذلك فهو خير لآخرتك، وإن شئت دعوت لك» قال: لا، بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بالدعاء المذكور في الحديث. فالحديث نص في التوسل بدعائه ﷺ والتوسل بدعاء الرسول وغيره في الحياة جائز لا خلاف فيه. وليس في هذا الحديث: أسألك بحق محمد، أو بجاه محمد، حتى يصح استدلالهم.

(*) حديث صحيح: أخرجه الترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد، وصححه ابن تيمية في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص١٤٤ طبعة السلفية، وصححه الألباني في كتابه «التوسل أنواعه وأحكامه» فليراجع فإنه فصل فيه الكلام عن هذا الحديث ووجه الاستدلال منه على التوسل المشروع.

وكما طلبت الجارية السوداء ـ التي كانت تُصرع ـ أن يعافيها الله، فخيّرها الرسول بين الصبر وبين أن يدعو لها، فاختارت الصبر، وسألت أن يدعو الله ألا تتكشف عندما يأتيها الصرع[1].

وهذا التوسل الذي هو بدعائه قد انقطع بموته ﷺ فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبر رسول الله، ويسأله حاجة أو غفران ذنب، أو كَشْفِ ضُرٍّ.

والدليل على ذلك: أن في خلافة عمر بن الخطاب، انقطع المطر وأراد عمر أن يستسقي، وطلب من العباس بن عبد المطلب أن يدعو لهم بالاستسقاء، فقال: **«اللَّهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا»**، ثم قال: **«قم يا عباس فادع الله لنا»** (رواه البخاري).

فلو كان التوسل بالرسول بعد موته جائزاً، لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبد المطلب، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

من الوضوح بمكان لا يخفى، إلا من أعماه التعصب والعناد، وسلك سبيل أهل الضلال والفساد.

ولزيادة الإيضاح والبيان، نورد لكم بعض أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

فهذا أبونا آدم، لمَّا اقترف الخطيئة قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣).

فلم يتوسل أبونا آدم بمحمد، كما زعم الزاعمون، وأوردوه حديثًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت مُحمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله» فعلمت أنك لن تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ ادعني

بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمدٌ ما خلقتك» (رواه الحاكم في مستدركه)[1].

وقد أجاب أهل العلم: أن الحاكم متساهل في تصحيح الأحاديث، حتى اتهمه بعضهم بسوء العقيدة.

فقد قال الذهبي في تعليقه على المستدرك، في خصوص هذا الحديث: إنه حديث موضوع، فلا حجة في موضوع، بل ولا في ضعيف.

(١) حديث موضوع: أخرجه الحاكم في المستدرك وأفاض ابن تيمية في كتابه «قاعدة جليلة» ص٩١ في الإنكار على الحاكم في تصحيحه هذا الحديث وقال: «وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث»، ولمزيد من التفصيل راجع: «السلسلة الضعيفة» للشيخ الألباني حديث رقم (٢٥).

obeikandl.com

أدعية الرسل

وإذا سمعتم دعاء آدم عليه السلام، فاسمعوا دعاء نوح، كما أخبر الله عنه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (سورة نوح: ٢٨).

وقال الله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم: ٤١)[1].

وقال الله مخبراً عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٣).

وعن يونس عليه السلام، لَمَّا التقمه الحوت: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨).

---

(١) دعاء إبراهيم لوالده، قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما أخبر الله عنه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ١١٤).

وعن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٠١).

وأدعية الرسول ﷺ كثيرة مبثوثة في كتب السنة، وفي كتب الأذكار، ومنها:

«اللَّهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي وبدني ...» إلى آخر الدعاء[1].

ومنها دعاءُ سيد الاستغفار المشهور[2].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبوداود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» وتخريج «الكلم الطيب» حديث رقم (٢٧).

(٢) أخرجه البخاري ونص الدعاء هو: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

ومنها دعاء: «اللَّهم إنا ندعوك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، اللَّهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللَّهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا ... إلخ»[1].

فهل يستطيع أحد هؤلاء أن يأتي بحرف من القرآن أو من السنة الصحيحة على مشروعية التوسل بالصالحين، أو الأنبياء والمرسلين، فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو بغيره.

فإن الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيها. وأما التوسل فهو بدعة، لا كفر.

ومن الأدلة الدالة على أن التوسل يكون بالأعمال الصالحة ما جاء في الحديث عن الثلاثة الذين انطبقت

---

(١) حديث حسن: أخرجه أبوداود والترمذي، وحسنه الألباني في «الكلم الطيب»، وفي «صحيح الترمذي» رقم (٢٧٨٣).

عليهم الصخرة[1]، فتوسل أحدهم ببر والديه، والثاني توسل بعفته من الزنا بعد أن جلس من المرأة مجلس الرجال من النساء، والثالث توسل بتنمية أجر الأجير، بعد أن ذهب وترك أُجرته، ثم رجع بعد مدة طويلة وطلب أُجرته فردها عليه فإذا هي مال كثير.

احتجاجهم بآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (سورة المائدة: ٣٥).

والجواب عنها: أن الوسيلة هنا معناها: التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، أو بأسمائه وصفاته، كما بيّنا في التوسل المشروع، لا كما يقول المبتدعون، أن نجعل الأنبياء والصالحين شفعاء ووسطاء ويقولون إنها من الوسائل المأمور بها، ويفسرون الآية بها.

أو يزعمون أن الشفاعة ثابتة لرسول الله ﷺ ونحن نسأله، لأن الله قد منحه إيّاها.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

اثبات الشفاعة للرسول

فالجواب: لاريب أن للرسول ﷺ شفاعات متعددة أعظمها: الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله ﷺ.

وله شفاعة أُخرى في إخراج بعض من دخل النار من الموحدين، وأُخرى في رفع درجات المؤمنين في الجنة.

ولكن اعتقادنا بثبوت الشفاعة له، لا يسوغ للمسلم اتكالاً على هذه الشفاعة أن يسأل رسول الله في الدنيا شفاعته أو غفران ذنوبه، كأن يقول: يا محمد اشفع لي، يا محمد اغفر لي ذنبي، أدركني، أستجير بك ممن ظلمني، أو أسألك يا محمد الشفاعة، فإن ذلك كله لا يجوز.

بل يقول: اللَّهم ارزقني شفاعة محمد، اللَّهم شفع فيَّ محمداً، أو يقول: اللَّهم لا تحرمني من شفاعة محمد ﷺ.

فإذا لم يجز للإنسان أن يقول مخاطبًا لرسوله ﷺ اشفع لي، أو أغثني، أو أستجير بك، فأولى أن لا يجوز بغيره من الأولياء والصالحين، ولا يغتر بقول بعض الشعراء:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ ∗∗ سواك عند حلول الحادث العمم

فإن هذا الكلام شرك وضلال، ولكن الله أعلم بقائله، هل مات على هذا أو تاب.

يقول: ما لي من ألوذ به، ونقول له:

لذ بالإله ولا تلذ بسواه ∗∗ من لاذ بالملك الجليل كفاه

حجج المبتدعة في جواز التوسل والاستغاثة:

وقد كثر في كلام بعض الشعراء من الاستغاثات، والنداءات لرسول الله ﷺ ولغيره[1]، كما كثر في كلام المتأخرين من

---

(١) كما قال بعضهم:

وحل عقدة قلبي يا محمد من ∗∗ هم على خطرت القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدني ∗∗ كيما يهون إذا الأنفاس في صعد
=

التوسلات والاستغاثات، وتجويزهم لهما بشبه واهية، ليس عليها شبهة الصواب، فضلاً عن الحجة والدليل.

١ ـ مثل احتجاجهم على التوسل بحديث آدم السابق ذكره.

٢ ـ وبحديث: «**اللَّهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا**»[(١)].

٣ ـ وبحديث فاطمة بنت أسد[(٢)]، الذي رواه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت

= وقال بعضهم:

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي ★★ يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري

أنت الملاذ لما أخشى ضرورته ★★ وأنت لي ملجأ من حادث الدهر

فانظر إلى هذا الغلو الشنيع من هذين الشاعرين، اللذين نسيا أن المرتجى والملاذ للعبد هو الله، كما في الآيات المارة، والقرآن مملوء بالآيات التي تصرح أن الله هو الذي بيده النفع والضر، وأنه إليه المرجع والمصير.

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه وأحمد وضعفه المنذري والألباني في «السلسلة الضعيفة» (١/ ٣٤) حديث رقم ٢٤.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١/ ٣٢) حديث رقم (٢٣).

أسد بن هاشمٍ أم علي بن أبي طالب ـ وكانت قد ربت النبي ﷺ فجلس عند رأسها وقال: «رحمك الله يا أمي بعد أمي» إلى أن قال لما أدخلها في اللحد: «اغفر لأمي فاطمة بنت أسدٍ ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين».

٤ ـ ومثل احتجاجهم على جواز الاستغاثة، بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (سورة القصص: ١٥).

٥ ـ وبقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٤).

٦ ـ وبمثل قولهم: لا فرق بين الأحياء والأموات، فإذا جار التوسل بالنبي حيًا جار به ميتًا؛ لأنه حي في قبره، وهكذا سائر الأنبياء، لأن الأنبياء أعلى مقامًا من الشهداء، والشهداء قد قال الله فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ

﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٩).

٧ ـ وبما يروونه من حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور».

٨ ـ وحديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم».

إلى غير ذلك من الاحتجاجات الواهية السمجة الباردة، التي تستوجب الضحك عليهم والرثاء لحالهم.

obeikandl.com

الرد[1] على حجج المبتدعين وتفنيدها

وإلى القارئ الجواب عن تلك الشبه، فنقول:

أولاً ـ ليعلم القارئ أن التوسل بدعة ليس بكفر، وإنما الكفر هو الاستغاثة برسول الله أو بغيره، كما مرّ غير مرة.

---

(١) وبقيت لهم شبهة وهي: أنهم قالوا للموحدين: إنكم تعمدون إلى الآيات التي نزلت في الأصنام وعابديها، فتنزلونها على المسلمين الذين يتوسلون بالصالحين، ويستغيثون بالمرسلين، ويأتون بكل شرائع الدين، فتجعلون المرسلين والصالحين في سلك الأصنام والأوثان، والمتوسلين في سلك عبدتها.

فالجواب: أولاً ـ صرح العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثانيًا ـ إن المشركين السالفين والكافرين الغابرين، منهم من كان يعبد الأنبياء كعيسى وعزير، ومنهم من كان يعبد الصالحين، كود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فكفرهم الله جميعًا، وأخبر عن كفرهم، وكلمة (دون الله) في مثل قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾، =

وثانيًا ـ ليس في التوسل بالأموات حديث صحيح أو حسن وكل ما يوردونه، إما ضعيف أو موضوع.

١ ـ فأما حديث الاحتجاج بتوسل آدم، فقد سبق الجواب عنه.

٢ ـ وأما حديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين». فإنه ضعيف. قال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد): هذا إسناد مسلسل بالضعفاء، عطية وهو آل عوفي والفضيل بن مرزوق، والفضل بن الموفق، كلهم ضعفاء.

وعلى تسليم أنهم اختلفوا في الفضيل بن مرزوق، فضعفه ابن حبان والنسائي وأبو حاتم، ووثقه ابن معين.

= وكلمة: ﴿ما لكم من إله غيره﴾، تشمل كل معبود غير الله، ولو كان نبيًا أو ملكًا، وقد رأيتم أن الله كفر اليهود والنصارى بطاعتهم للأحبار والرهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فضلاً عن السجود لغير الله والنذر له، والطواف به.

قال ابن حبان فيه: يروي عن عطية العوفي الموضوعات وهو في هذا الحديث عن عطية العوفي.

فإن الجرح مقدم على التعديل، على أننا لو سلمنا بصحة الحديث، فإنا لا نسلم أن حق السائلين غير مخلوق، إذ حقهم هو إجابة الله، وإعطاؤهم سؤالهم، وهما صفتان له تعالى، فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الروم: ٤٧).

٣ ـ والجواب عن حديث فاطمة بنت أسد أنه ضعيف أيضًا فإن فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف، وعلى فرض تسليم صحته، فحق الأنبياء غير مخلوق كما قدمنا في حديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين»، بل إنه صفة من صفات الله تعالى، وهو نصرته للأنبياء، وإرضاؤهم وإعلاؤهم على أعدائهم.

٤ ـ وأما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ ﴾ (سورة القصص: ١٥).

فما أسمجه من استـدلال وما أبرده!! لأنها استغاثة حي بحي فيما يقدر عليه، وليس في هذا خلاف. على أن فعل الرجل الإسرائيلي ليس بحـجة، وإجابة مـوسى له وتقريره عليه ليس بحجـة، لأن ذلك قبل أن يوحى إليه، وسكوت الأنبياء قبل بعثـتهم لا يدل على جواز المسكوت عنه، وبعد ذلك كله ليس هو في شريعتنا.

٥ ـ وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا﴾ (سورة النساء: ٦٤).

فالجواب: أن غايتهـا تعليق غفران ذنوبهم على مجـيئهم إليه ﷺ واستـغفارهم الله، واستغـفار الرسول لهم، وأنهم لِيمُوا على ترك ذلك، وليس فيـها أنهم طلبوه ولا أمروا أن يطلبوه.

وثانيًا ـ أن الآية معـلقة ذلك على إتيـانه ﷺ وإتيانه غـير متأت بعد موته، إذ لا يمكن إلا إتيـان قبره، ومن أتى القبر لا يقال: إنه أتى صاحب القبر، إلا على سبيل التسامح والتجوز.

ثالثًا ـ هي واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها وقعت في حياته ﷺ فمن أين أخذوا التعميم في الحياة والممات؟

ولو دلت على العموم في الحياة والممات لكانت مخصصة ومقصورة على الحياة، ودليل التخصيص الأخبار الشرعية الدالّة: أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (سورة فاطر: ٢٢).

وفي الحديث الذي رواه مسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به».

ولأن الصحابة ومن بعدهم ما فهموا شمولها للموت، ولذا لم يدعوه ﷺ ولم يأت إلينا أنهم دعوه بعد الموت، كما قد أتى إلينا أنهم سألوه الدعاء في حياته ﷺ.

حديث القُلَيب:

تعلق القبوريون المبتدعون بحديث القليب، أن الموتى يسمعون؛ لأن النبي ﷺ أجاب عمر: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[1]. وبحديث: «وإنه ليسمع الآن قرع نعالهم إذ أتاه الملكان»، فاحتجوا على سماع الأموات بهذين الحديثين، وإذا كانوا يسمعون فيجيبون الداعين لهم والمستغيثين بهم فيقضون حوائجهم، وينال المستغيث بغيته والطالب منهم ضالته وقصده، كما استدلوا بذينك الحديثين على ندب قراءة الأحياء على قبور الموتى.

والجواب: أن حديث القليب وقع معجزة لرسول الله ﷺ وخوارق العادات لا يقاس عليها، فكيف والله يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (سورة فاطر: ٢٢).

---

(١) أخرجه البخاري.

وأما الحديث الثاني، فالجواب: أنه مقيد بتلك الساعة التي سيأتيه الملكان، وليس سماعه في كل وقت، وإذا أردت هذا البحث لتروي غليلك وتشفي عليلك فارجع إلى (رسالة الآيات البينات في عدم سماع الأموات) للعلامة الألوسي ـ رحمه الله ـ.

٦ ـ وأما قولهم: لا فرق بين الأحياء والأموات في جواز التوسل والاستغاثة، وما ثبت لأحد المثلين ثبت للآخر، وقد ثبت حياة الأنبياء والتوسل بهم وبالشهداء والأولياء.

فالجواب: أن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحًا؛ لأن القرآن يقول: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾ (سورة فاطر: ٢٢).

ويقول: ﴿ **فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾ (سورة الروم: ٥٢).

فسبحان الله الذي أعمى بصائر هؤلاء القبوريين الدجاجلة المضلين حتى سووا بين الأحياء والميتين!.

بل قالوا: إن الأرواح بعد مفارقة الأجسام باقية وتتصرف التصرف التام!.

فعلى عقولهم العفاء والدمار، فما أجهل هؤلاء وما أكفرهم. فلو كانوا أحياء كما زعم هؤلاء لما جاز دفنهم، وتقسيم أموالهم، وتزوج نسائهم. بالنسبة لغير الرسول ﷺ.

وإنا نرى الميت يهان ويوطأ، وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه أتراه رضى لها الهوان؟! ولا أظن أن سمع الناس أبطل من هذا الكلام، وأفسد من هذا القياس.

٧ ـ وقولهم: «إن الأرواح تتصرف بعد مفارقة الأجسام؛ لأنها حيَّة»، فكلام باطل.

وأي تصرف لها؟ وهل يلزم من حياتها أن تكون قادرة مجيبة للمستغيثين والسائلين؟

ولو جاز لنا أن نستغيث بهؤلاء لأنهم أحياء، جاز لنا أن نستغيث بالملائكة الذين لا خلاف في حياتهم، وبالحور

والولدان، وبأرواح الكفار، وبالجان لأنهم أحياء. سبحانك هذا بهتان عظيم! لا يقول هذا إلا من سفه نفسه، وتجرد من عقله. اللهم اهدهم إلى صراط الحق، والطريق المستقيم

٨ ـ وأما حديث: «إذا أعيتكم الأمور». فإنه مكذوب ومن وضع الزنادقة الذين قصدوا إفساد الدين.

٩ ـ وحديث: «توسلوا بجاهي» موضوع[1] لم يختلف في وضعه اثنان.

ولاريب عند المسلمين جميعهم أن لرسول الله ﷺ جاهًا عظيمًا ومقامًا محمودًا، وأنه أفضل الورى وخاتم الأنبياء والمرسلين.

ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به، وإن كان الأنبياء أحياءً في قبورهم حياة برزخية لا يعلمها إلا

(١) قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (قاعدة جليلة): «وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث».

الله، لأن الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا[1]

---

(١) وحيث إن كثيراً من ذوي البدع والضلال والدعاء إلى عبادة الأموات من الأنبياء والصالحين، يشاغبون في حياة الأنبياء والشهداء، ويزعمون أن حياتهم كالحياة الدنيوية يأكلون ويشربون وينكحون كسائر أهل الدنيا. وبناءً على ذلك جوزوا الاستغاثة بهم في الشدائد والملمات. بل وندبوا إلى ذلك وضللوا من ينهي عن الاستغاثة بالأموات ويجعلها شركًا برب العالمين.

ونحن نقول: إنها حياة برزخية غيبية لا يعلم كنهها إلا الله، فلذا يجدر بي أن أذكر بعض كلام المفسرين الأجلاء في هذا الموضوع، ونكتفي بأربعة من كبارهم ليتبين صحة قولنا وبطلان قولهم. وإلى القارئ بيان ذلك:

■ قال العلامة ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩):

يعني الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله، يقول الله: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتًا لا يحسون شيئًا، ولا يتلذذون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي وحبوتهم من جزيل ثوابي وعطائي...، ثم ساق أحاديث وآثارًا نحواً من عشرين حديثًا وأثرًا، منها عن مسروق بن الأجدع، قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، قال: =

. . . . . .

= «أما أنا قد سألنا عنها، فقيل لنا: إنه لما أصاب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع الله إليهم إطلاعة، فيقول: يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم، فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا، ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى» تفسير ابن جرير ـ طبعة دار المعارف.

■ وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: يخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.

ثم أورد ابن كثير، كثيراً مما أورده ابن جرير، ومنها ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس، قال: قال رسول الله: «**لما أُصيب إخوانكم يوم أُحد، جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها، وتاوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش**» (جـ٢ ابن كثير ـ طبعة الأندلس ـ ببيروت).

■ وقال العلامة ابن الجوزي في تفسير قوله: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ (البقرة: ١٥٤).

ذكر سبب النزول أنها في شهداء أحد، ثم قال: «أي لا تقولوا هم أموات، لا تصل أرواحهم إلى الجنان، ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء، بل هم أحياء أرواحهم في حواصل طير خضر =

. . . . . .

= تسرح في الجنة، فهم أحياء من هذه الناحية وإن كانوا أمواتًا من جهة خروج الروح، ولما استشعر اعتراضًا بأن جميع المؤمنين منعمون بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء! أجاب: إن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها، وغيرهم منعم بما دون ذلك» اهـ (من زاد المسير - جـ١ في سورة البقرة ص١٦٠ - طبعة المكتب الإسلامي).

■ وقال العلامة القاسمي في تفسيره، نقلاً عن البيضاوي وحواشيه: «إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية، ونفي الشعور بها، دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان، لأنها بصحبة البنية واعتدال المزاج، وإنما هي أمر يدرك بالوحي لا بالعقل» اهـ. (من «محاسن التأويل» جـ٢ طبعة إحياء الكتب العربية).

تأمل كلام ابن جرير قوله: «إنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي».

وكلام ابن الجوزي: «فهم أحياء من هذه الناحية - أي من ناحية أرواحهم في حواصل طير خضر - وإن كانوا أمواتًا من جهة الروح».

وكلام ابن كثير إذ يقول: «إنهم وإن قتلوا في هذه الدار، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار». =

. . . . . .

= وكلام البيضاوي: «إن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان». فإذا أحطت علمًا بذلك تبين لك أن ما ذهب إليه أهل التخريف ـ إن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون ـ اعتقاد فاسد يأباه كل ذي عقل سليم، فضلاً عمن تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة.

وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤).

وفي سورة آل عمران: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩). كاف في بطلان ما ذهب إليه المبتدعة في إثبات الحياة لهم كالحياة الدنيوية، على أنه قد فسر بعضهم تلك الحياة بحياة الذكر الجميل والثناء الجليل، وقيل: إن المراد بالموت والحياة الضلال والهدى، أي لا تقولوا هم أموات في الدنيا، ضالون عن الصراط المستقيم، بل هم أحياء بالطاعة، قائمون بأعبائها، وقيل غير ذلك(•).

ولكن خير تفسير لحياتهم ما فسره رسول الله ﷺ كما سبق في الحديثين السابقين. وكما سبق في كلام المفسرين. =

(•) ولو ذهبنا ننقل كلام المفسرين في هذا الموضوع؛ لصار يتطلب مجلداً ضخمًا ونحن قصدنا الإيجاز، وفيما نقلناه كفاية، ويتبين به أن ما ذهب إليه أهل الضلال هو من أكبر البدع والضلال.

ولا تعطي أحكامها، فإذا جاز أن نسأله ﷺ في حياته الدعاء، بأن يطلب لنا من الله قضاء حاجة أو غفران ذنب، فلا يجوز بعد مماته أن نسأله قياسًا على حياته الدنيوية.

= والخلاصة: أن حياة الشهداء والأنبياء من باب أولى حياة غيبية برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه: ولكل دار حكم، فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية، فإذا جاز لنا أن نسأل الرسول في حياته الدعاء، أو يسأل لنا الغفران، فلا يجوز لنا بعد موته أن نسأله ما كنا نسأله في الحياة الدنيوية.

قال الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني، في منظومته «هداية المريد»:

والشهداء وأنبياء الله ★★★ فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا ★★★ لكونهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع ★★★ فذاك كذاب مريد مبتدع
فيه كذب القرآن(*) والرسولا ★★★ وخالف المعقول والمنقولا

(*) يشير إلى الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر: ٣٠-٣١)، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التي تنادي بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف، أو قدرة في دفع ضر، أو جلب نفع، سواءً أكان نبيًا أم غيره، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (سورة الزمر: ٣٨).

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (سورة الجن: ٢١-٢٢).

وقوله: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٨).

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الخطاب للرسول ﷺ مبينًا أن الذي بيده النفع والضر هو الله وحده لا غير، وأن المعبودات من دون الله لا تغني شيئًا، وأن الرسول ﷺ مع

أنه سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلاً عن غيره.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لما نزلت آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٤).

«يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمسٍ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا».

وفي رواية: «يا معشر قريشٍ اشتروا أنفسكم من الله، فإني لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطلب لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمةُ رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنك من الله شيئًا»[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة: ٥)، أي نخصك بالعبادة ولا نعبد سواك، ونستعين بك في أمور الدنيا والدين، ولا نستعين بأحد غيرك.

وحديث[١]: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٢].

لو تدبر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين على تلك الآيات، وشروح تلك الأحاديث، شروح الأجلاء المُعتَبَرين؛ لعلموا أن توسلاتهم بالرسول، أو بالأنبياء والصالحين ليس لها أصل في الدين، وأن الاستعانة بهم من الشرك والكفر المبين.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي بسنده عن ابن عباس وقال: حسن صحيح، ولمزيد من التخريج يراجع كتاب «السنة لابن أبي عاصم» تحقيق الشيخ الألباني وقد سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) رواه الترمذي من حديث ابن عباس، الذي أوله: (قال: كنت خلف النبي يومًا. فقال: «يا غلام إني اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...») وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.